٢ـ العدو المعاصر:

بالرغم من أن الحركات الإسلامية كانت ولا تزال ضعيفة الإمكانات، مغلولة الأيدي مقيدة الإرادة فيما يتعلق بالاستعداد للمواجهة الحتمية مع اليهود في المنطقة، إلاأن اليهود ظلوا يتعاملون مع هذا التحدي المحيَّد على أنه خطر عظيم جسيم، وكان اليهود دائماً يُهوِّلون من خطر الإسلاميين في البلدان المحيطة بهم، ويبثون الدعايات والوشايات، بل ويدبجون المؤامرات لإيقاعهم في حبائل المواجهة المستمرة مع أنظمتهم؛ لأنهم يعلمون أن ما أسموه (الخطر الإسلامي) هو الخطر الحقيقي الوحيد على كيانهم على المدى البعيد، والمراقب لسياسات اليهود منذ أن وطئوا أراضي المنطقة، وأقاموا دولتهم، يلحظ لأول وهلة، أن هناك رعباً حقيقياً من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، حيث يظل بروز حركات إسلامية لمجاهدتهم هاجساً مؤرقاً ومقلقاً؛ ولهذا فهم يبذلون دائماً كل الجهود الممكنة المباشرة وغير المباشرة لاحتواء هذا الخطر المستقبلي.

ومنذ الأيام الأولى للصدام مع العرب، كان الهاجس اليهودي من خطر الإسلام حاضراً، فعندما بدأ هجوم عصابات اليهود لاغتصاب أرض بيت المقدس عام ١٩٤٨م وبدأت الحركة الإسلامية في مواجهة ذلك الخطر، سارع سفراء بريطانيا وفرنسا وأمريكا في مصر إلى التدخل لدى ملك مصر في ذلك الوقت (الملك فاروق)؛ ليشيروا عليه بتوجيه ضربة شديدة للحركة الإسلامية في مصر ممثلة آنذاك في جماعة الإخوان المسلمين؛ فصدرت الأوامر بمحاصرة معسكرات المجاهدين في جبهة القتال، وجردوهم من أسلحتهم، ثم نُقلوا إلى المعتقلات والسجون، ليجدوا أحداثاً أخرى قد سبق وقوعها في مصر قبل عودتهم، وجدوا قراراً قد صدر بحل جماعة الإخوان المسلمين، واعتقال العديد

من أعضائها، وكان قرار الحل في مساء ٨ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٤٨م، ثم أعقب ذلك اغتيال الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ مساء ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩م في عيد ميلاد الملك فاروق.

وبعد أيام قلائل وضحت الخلفيات الباعثة على تلك الأحداث.. إن معاهدة (رودس) مع اليهود كانت مطبوخة، وعمل اليهود وعملاؤهم على تهيئة الجو قبل إبرامها مع الملك فاروق في ١٤ من شهر فبراير (شباط) ١٩٤٩م، وكان تدخل سفراء بريطانيا وفرنسا وأمريكا في مصر لدى الملك لتوجيه تلك الضربة تحركه أصابع اليهود، وفي (فايد) صدر عن هؤلاء السفراء قرار الحل.

وعمل اليهود وأشياعهم أثناء السنوات التي تلت تلك الأحداث على وأد أي نبتة إسلامية ناشئة، فهؤلاء يدرسون ويخططون، وأولئك يعملون وينفذون.

إن مؤتمرات تعقد، ودراسات تعد، وبحوثاً تجمع لغرض واحد وهو: كيف يُقتل الوليد في مهده قبل أن يستوي عوده ويصبح فتىً يافعاً ثم رجلاً قوياً، يرد الكيد ويصد العدوان؟

عُقد مؤتمر في بداية شهر إبريل (نيسان) عام ١٩٧٧م نظمه معهد (ترومان) الأمريكي، وكلية (الدراسات الإسلامية) في الجامعة العبرية! وكان الهدف من المؤتمر دراسة النشاط الإسلامي في آسيا، وشارك فيه ما يقرب من ٣٠ خبيراً من أمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان والفليبين واستراليا؛ وأشرف على المؤتمر البروفيسور اليهودي (برافي يسرائيل)؛ فماذا عساهم أن يبحثوا أو يخططوا بإشرافه؟!

ولا ينسى الإسلاميون أمر الوثيقة التي أعدها البروفيسور (ريتشارد ميتشل) والتي نشرت مجلة الدعوة المصرية قصتها ونقلتها عنها مجلة المجتمع الكويتية[1]. تلك الوثيقة التي تسربت وُجهت فيها النصائح إلى بعض الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط ومصر بالذات لكيفية مواجهة الحركات الإسلامية وإجهاضها أولاً بأول.

ويمكن لمن تتبع الأحداث المعاصرة للحركة الإسلامية، أن يستنتج علاقة مريبة بين الضربات الموجهة لتلك الحركة، وبين أمور تعد في الخفاء لها صلة مباشرة بمصالح اليهود ومخططاتهم في المنطقة، ونأخذ مصر مثالاً ونموذجاً.

* فكما كان اعتقال طلائع المجاهدين من الإخوان وقتل مرشدهم، وحل جماعتهم صفقة ممهدة لعقد اتفاقية (رودس) بين اليهود وحكومة النقراشي في عهد فاروق، كذلك تم إعدام عدد من قادة تلك الحركة وخاصة الذين شاركوا في جهاد اليهود عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م.

* وفي سنة ١٩٥٦م أُلقِيَ الألوف من أبناء الحركة الإسلامية في أعماق السجون لتتقدم إسرائيل سنة ١٩٥٦م، وتحتل حتى قناة السويس.

* في ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٦٦م تم إعدام سيد قطب ـ رحمه الله ـ ونفر من أصحابه، والحكم على بقية رفاقه بأحكام طويلة متفاوتة.. وتتقدم إسرائيل في ساحة خالية خاوية بعدها بشهور وتهزم ثلاث دول عربية، في وسط جوٍ مظلم من إرهاب الحكومات للإسلاميين وقتها، ومعروف أن سيد قطب ـ رحمه الله ـ كان يرى ضرورة قيام حركة إسلامية خالصة لتحرير ما اغتصبه اليهود من أرض

(١) في عدد المجتمع ٧٨٩.

بيت المقدس، وكتابه (معركتنا مع اليهود) معروف في ذلك.

* في السبعينيات الميلادية، وقبل معاهدة الصلح التي عقدها السادات مع اليهود، تم توجيه عدة ضربات مركزة للحركة الإسلامية على فترات متقطعة، وجاءت هذه الضربات على شكل عدة قضايا كان الإعلام يُهوِّل من شأنها، وتعقد لها المحاكم العسكرية لتعطي انطباعاً عاماً لدي الشعب بأن التوجه الإسلامي مصيره أسود، وبخاصة إذا تدخل في سياسة الدولة العليا المتعلقة بالصلح مع إسرائيل. وصدرت عدة أحكام بالإعدام وبالأشغال الشاقة المؤبدة وغيرها، وكان هذا الكم الضخم من القضايا والإجراءات والأحكام يتلاءم مع ضخامة ما حدث في نهاية ذلك العقد ابتداءاً من عام ١٩٧٧م إلى ١٩٨٠م من سلسلة مؤامرات أعدها اليهود وأعوانهم، من بينها معاهدتا كامب ديفيد والصلح المنفرد مع إسرائيل.

* وفي بداية الثمانينيات جمع السادات قادة وأعضاء الحركات الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها في السجون والمعتقلات لمجاهرتها بمعارضة تطبيع العلاقات مع اليهود، والله وحده يعلم ما الخطوة التي كان ينوي السادات الإقدام عليها بعد هذا الإجراء الصارخ؛ ولكن الأمر المجزوم به أن ذلك الإجراء إنما جاء تحقيقاً لرغبة جامحة لدى اليهود في التعجيل بجمع معارضي السلام معهم في ساحات السجون وأقبية الزنازين.

أدلى مناحيم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بتصريح صحفي تناقلته وكالات الأنباء، قبيل اختتام زيارته التي قام بها للولايات المتحدة، في أواخر شهر أغسطس (آب) ١٩٨١م جاء فيه: «إنني لن أطمئن على مستقبل معاهدة كامب ديفيد وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء على الحركات المتعصبة

الإسلامية في مصر بشكل خاص»، واستطرد قائلاً: «إن صديقي السادات أبدىٰ اهتماماً شديداً بما قدمته له من (وثائق) تدين المتطرفين المسلمين بالعمل ضد اتفاقيات كامب ديفيد، وتدينهم بعرقلة عمليات تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وأكدتُ له بدوري أن إسرائيل لا تريد أن تكتفي بسماع تصريحات مُطَمْئِنة، ولكنها تريد إجراءات حازمة وعنيفة لتأديب قادة هذه الحركات وإيقافهم عند حدهم، وبخلاف ذلك، فإن إسرائيل ستظل تنظر بريبة وشك إلىٰ مستقبل اتفاقيات السلام مع مصر»، واختتم تصريحه قائلاً: «لقد كان صديقي السادات عند حسن ظننا به؛ إذ لم أكد أغادر مصر عائداً إلىٰ إسرائيل حتىٰ بدأ حملة عنيفة لمحاربتهم، وإنني أتمنىٰ له النجاح والتوفيق من كل قلبي..»[1].

* وفي ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م تم تنفيذ حكم الإعدام في قتلة السادات الذي تورط في صراع مع الإسلاميين نزولاً علىٰ نصيحة بيجن. وجاء التنفيذ في توقيت مريب، وهو موعد الاستقبال الرسمي لـ(شارون) السفاح الإسرائيلي مرتكب مجازر صابرا وشاتيلا؛ لعل اليهود يهدأون ويطمئنون علىٰ مستقبل أوليائهم في المنطقة! وعلىٰ مستقبل أعدائهم أيضاً!

وقد حرص أعداء الإسلام من أولياء اليهود علىٰ أن يهيئوا لهم أولاً بأول ساحة خالية من أي حضور إسلامي مؤثر، ليس في مصر وحدها بل في معظم البلدان المحيطة بالكيان اليهودي، ولا شك أن المسلمين الصادقين كانوا هم قبل غيرهم الغاية المستهدفة. وتكفينا نظرة عامة علىٰ ما يحدث لمنظمة (حماس) علىٰ أيدي منظمة (التحرير) التي تعهدت في أوسلو وما بعدها بـ(تحرير) فلسطين وما حولها من المجاهدين!!، لتبقىٰ لقمة سائغة لليهود الملعونين.

(١) التصريح نشرته الصحف في حينه، وخاصة الصحف الكويتية.

ويجب أن نتذكر أنه قد وجد طيلة العقود الثلاثة الماضية تناسب طردي بين زيادة التوجه لدىٰ بعض الأنظمة العربية إلىٰ الصلح مع اليهود، وبين الإجهاض المتجدد للحركات الإسلامية فيها، وهذا يبين لنا أن قراراً ما قد اتخذ من جهات ما، لوأد تلك الحركات أولاً بأول حتىٰ لا يشتد عودها يوماً وتقف ضد الاستسلام لليهود تحت أي مسمىٰ. وهو ما سماه بعض الطواغيت: (سياسة الإجهاض المبكر) في عقد الثمانينيات، وسماه آخرون: (سياسة تجفيف المنابع) في التسعينيات.

فالحركة الإسلامية التي ضُربت في مصر في بداية الثمانينيات علىٰ يد ولي اليهود الظاهر؛ ضُربت وبطرق أشد علىٰ يد أوليائهم في الباطن في بلدان عربية متعددة. فقد ضُربت في سوريا بطريقة أشد وأعتىٰ من الطريقة التي ضربت بها في مصر، وسوريا يُفترض أنها الجبهة الثانية ضد إسرائيل، يحدث فيها هذا لتقر أعين اليهود وهم يرون الألوف من أهل السنة في سوريا يساقون إلىٰ الموت أو السجن أو النفي.

وتمتد الأذرع الطويلة لتنال الحركات الإسلامية ـ مسالمة وغير مسالمة ـ في بقية البلدان العربية؛ فتُضرب في ا لثمانينيات في المغرب وفي الجزائر وفي تونس وفي ليبيا علىٰ فترات متقطعة وبأسباب مفتعلة مختلفة، فلما جاء عقد التسعينيات وحاولت بعض تلك الحركات رد الصاع بجهاد الدفاع كان ما كان مما يعرفه الجميع، وتحقق ما يريده اليهود من تقاتل الأمة مع بعضها، وانشغالها بنفسها عن مجاهدة عدوها، بل انشغال النظم بمصالحة العدو الحقيقي، ومكافحة عدو مصطنع. وقد كان من المفارقات العجيبة طيلة عقد التسعينيات أن يرتفع شعاران لدىٰ أكثر الأنظمة: شعار (التطبيع مع إسرائيل) وشعار (مكافحة التطرف)!!

ولسنا في حاجة لأن نسأل: لحساب من كل هذا؟! فأصحاب الحساب معروفون، ومن يتقاضون الحساب معروفون، والموجِّهون معلومون، والموجَهون أيضاً معلومون.

نشرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) الإسرائيلية في ١١/ ٣/ ١٩٧٨م مقالاً جاء فيه: «إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة: هي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن ا لمعركة إلى الأبد؛ ولهذا يجب ألاَّ نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا تلك في استمرار منع استيقاظ الروح الدينية بأي شكلٍ وبأي أسلوب؛ ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف لإخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا».

ونسجل هنا ـ بكل أسف ـ أن كثيراً من الحركات الإسلامية طيلة العقود الماضية تشاغلت عن المعركة الحقيقة التي شنها اليهود وأولياؤهم بمعارك جانبية استنزفت الطاقات واستنفدت الجهود، واستدرجوا إلى صدامات بلا طائل وتضحيات بلا مقابل.

إن اليهود لا يقفون في الساحة وحدهم ضد الحركات الإسلامية التي تحاول النهوض من كبواتها، فإلى جانب مظاهرة أولياء اليهود من المتسلطين على العالم العربي والإسلامي.. يقف المارد الأمريكي النصراني معلناً مؤازرته ومعاونته ضد كل حركة إسلامية مؤثرة، والأمريكيون لا يبخلون ببذل النصح وإسداء المشورة إذا كان الأمر يتعلق بالقضاء على أتباع محمد ﷺ.

تقول اليهودية الصهيونية (مادلين أولبرايت) في وشاية واضحة بالحركات

الإسلامية: «إن إدارة الرئيس كلينتون تعتزم بذل كل ما بوسعها لدحر (الخطر الثلاثي) المتمثل في دول وتنظيمات إرهابية وشبكات متطرفين ـ تمتاز بحرية في الحركة»، وقالت: «إن نوعاً جديداً من المواجهة يلوح بينما القرن الجديد يبدأ»، وأضافت: «من المحتمل أن يتجنب خصومنا ميادين القتال التقليدية، وقد يلجأون بدلاً من ذلك إلى أسلحة الدمار الشامل»، ثم أعلنت في كلمتها التي ألقتها أمام الكونجرس الأمريكي في ٤/ ٢/ ١٩٩٩م، عن برنامج جديد تبنته الولايات المتحدة يمتد لخمس سنين لمواجهة (جماعات التطرف)، وخصصت له الإدارة الأمريكية ٥٠ بليون دولار، وقالت: «إن الخطة الخمسية تمثل مجرد بداية»[١] وفي الحقيقة إن هذه لم تكن هي البداية كما ذكرت شمطاء صهيون، ولكن الخطة بل الخطط ترتب منذ سنوات طويلة، ومنذ سمع العالم عما أُطلق عليه (الصحوة الإسلامية).

فقد نشرت جريدة (الهيرالدتربيون) في عددها الصادر في ٨ أكتوبر سنة ١٩٨٤م مقالاً من إعداد «آموس بيرل منز» تحت عنوان: (استراتيجية لاحتواء الحرب الإسلامية المقدسة) اشتملت على ثلاثة جوانب:

أولاً: التصور الأمريكي للحركات الإسلامية.

ثانياً: التكتيك الذي يجب أن يتبع في محاربتها.

ثالثاً: الاستراتيجية الأمريكية في التعامل مع تلك الحركات.

والتصور الأمريكي للحركات الإسلامية كما حددته تلك الرسالة هو:

١ ـ هناك حرب إسلامية يشنها إسلاميون بدائيون ومتعصبون في العالم

(١) صحيفة الحياة، (٦/ ٢/ ١٩٩٩م).

الإسلامي والعربي ضد الغرب، وضد المسيحية والرأسمالية الحديثة والصهيونية في آن واحد.

٢ ـ الحرب لا تفرق بين رأسمالي وشيوعي أو أمريكي وروسي.

٣ ـ هناك أنظمة من مصلحتها مد هذه الحركات ومساعدتها.

ثم حددت الدراسة استراتيجية الاحتواء والقمع التي يجب الأخذ بها كما يأتي:

١ ـ حرب الإسلاميين هدف عاجل لا يقبل التأجيل.

٢ ـ الحرب ضدهم يجب أن تكون على المدى القصير (أي سريعة)، ولها الأولوية.

٣ ـ يتحتم أن تشمل الحرب الحركات الإسلامية في كل دول العالم الإسلامي.

أما التكتيك المقترح اتباعه؛ فتنص المقالة على أنه يشمل ما يأتي:

١ ـ لا مانع من استخدام أسلوب الاغتيال أو القتل عند الحاجة؛ وذلك بإعداد وحدات خاصة مدربة على ذلك.

٢ ـ دعم الأنظمة التي يتهددها نشاطات وحركات إسلامية.

٣ ـ استعمال وسائل التجسس في رصد أنشطة الحركات الإسلامية.

٤ ـ عزل رجال الدين المتشددين سياسياً؛ على شرط أن يكون دعم الأنظمة مقابل تعاونها مع الولايات المتحدة في عملية العزل هذه[١].

(١) تأمَّل التنفيذ العملي لهذه السياسات في السنوات التي تلت هذا التقرير.. وتعجب!

ولقد جسد الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) ـ في اختصار ـ مشاعر الغرب الصليبي تجاه المد الإسلامي في الشرق الأوسط فقال: «إن الخطر الذي تتعرض له منطقة الشرق الأوسط الآن ـ لا يأتي من قبل الثورة الشيوعية؛ بل يأتي من قبل التوجه الديني المتزمت هناك». وقد سُبق نيكسون بإخوان له يهود ردَّدوا ما يدل على نفاد صبرهم من تجدد الحركات الإسلامية التي تهدد اليهود بالخطر.

قال (ديفيد بن جوريون): «نحن لا نخشى خطراً في المنطقة سوى الإسلام..»، وبعده قال (ديان) في خطاب ألقاه أمام وفد من الأمريكيين اليهود في شهر يناير (كانون) الثاني ١٩٧٩م: «إن على الولايات المتحدة والدول الغربية أن تأخذ العبرة من أحداث إيران التي تمخضت عن اندلاع ثورة إسلامية بشكل لم يكن متوقعاً قط، وإن دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة عليها أن تعطي اهتماماً أكبر لإسرائيل، باعتبارها خط الدفاع الأول عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورات الإسلامية التي بدأت في إيران، والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أي منطقة أخرى من العالم الإسلامي..».

أما شمعون بيريز الذي كان يمثل دائماً (الحمائم) في الأحزاب اليهودية فقد قالها بصراحة: «إن البقاء مستحيل لندَّيْن لن يلتقيا ولن يتصالحا» وقال: «إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد». وقد كتب مقالاً لصحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية في ١٧/ ١/ ١٩٩٧م جاء فيه: «إن الشرق الأوسط يقف عند مفترق طرق خطير، لا شيء فيه يمكن أن يبقى كما كان، الوضع يتغير بسرعة، وعلينا أن نختار بين التحول باتجاه سلام يصبح لنا فيه اقتصاد جديد، والتحول

إلىٰ التطرف والأصولية يصبح له سلاح جديد. إنني أرىٰ بوضوح قوة التحول إلىٰ غير المرغوب. إن التحول الأصولي الإسلامي الذي يستهدف النصرة من شريحة عملاقة من السكان في العالم الإسلامي تقدر بمليار و٣٠٠ مليون رجل وامرأة، تحولٌ لا يعتمد علىٰ المنطق، بل علىٰ التقديس وقصص الأساطير والمعجزات والوعود بنعيم الجنة.. إذن، أردنا أم لم نرد فإننا مضطرون للاختيار ـ مع القرن القادم ـ بين السلام أو مواجهة تعصب القرون الوسطىٰ»، وأردف بيريز يقول: «حتىٰ سنة ٢٠٠٠م، سيكون الشرق الأوسط مسلحاً من أخمص قدميه إلىٰ رأسه بالصواريخ ذات المسافات المتنوعة وبأسلحة غير تقليدية، وفوق هذا بأصولية عطشىٰ وجائعة، ومن شأن ذلك أن يغري بخوض حرب جديدة، والأكثر من ذلك ـ ربما وإلىٰ أن تَحُل سنة ٢٠٠٠ ـ تتصاعد من جديد المنافسة علىٰ زعامة العالم، حيث ستصبح المنطقة ساحة واسعة لمن يحسم الصراع لصالحه».

أما نتنياهو، فمن الطبيعي ألاَّ يكون أقل حرصاً من بقية زعماء اليهود في التحذير من الخطر الإسلامي؛ فقد قال في مقابلة مع صحيفة (ها آرتس) في (٢٢/ ١١/ ١٩٩٦م): «إن عالم القرن القادم سيكون متعدد الأقطاب وغير مستقر، وسنتعرض إلىٰ خطرين رئيسيين: الخطر الأول يأتي من داخل الفلسطينيين، أما الخطر الثاني؛ فيتمثل في التهديد الإسلامي من خارج فلسطين، ويتمثل الحل بالنسبة للتهديدالأول في أن نخلِّص الفلسطينيين من حلمهم، فمن الضروري أن يتخلصوا من فكرة (الخلاص)! وفيما يتعلق بالخطر الثاني؛ فلا أرىٰ أنه يوجد حل سهل، وأعتقد أن حل هذه القضية بعيد عن إسرائيل»!

وعجيب كل هذا الرعب.. كل هذا الحقد.. كل هذا التآمر، كل هذا التعاون بالإثم والعدوان علىٰ أولئك المستضعفين من المسلمين المبعثرين في

الآفاق . . ماذا يا ترىٰ لو أدرك هؤلاء المستضعفون ما يُراد بهم وما يُضمر لهم؟! ماذا لو عرفوا قدر أنفسهم، وخوف أعدائهم من يقظتهم وتجمعهم وقوتهم؟!

قد هيؤوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ له فاربَأ بنفسكَ أن ترعىٰ مع الهَمَلِ

وهكذا يتواصل تحريضهم في السر والجهار، ويمكر الأعداء بنا مكر الليل والنهار، وليس ثمة ما يمنعهم من ذلك، فهم يرون الغالب الأعم من المسلمين قد دخلوا تيه الظلمات، تيه الأهواء والزعامات واللافتات، لا يكادون يجدون منه مخرجاً، ولَيْتَه تيه الأربعين سنة ثم ينتهي كما انتهىٰ تيه بني إسرائيل؛ بل إنه تطاول عن ذلك وامتد . . نسأل الله أن يجعل لنا منه مخرجاً وفرجاً!

قالت صحيفة (فايننشال بوست) في إحدىٰ مقالاتها التحريضية ـ بعد ثورة إيران وصعود نجم أربكان بتركيا، وقتل السادات بمصر ـ: «إن أحداث إيران وتركيا وبلدان إسلامية أخرىٰ قد اضطرت (موشىٰ ديان) إلىٰ الاعتراف العلني وربما لأول مرة في حياته السياسية ـ بأن عودة الاتجاهات الإسلامية إلىٰ الظهور من جديد علىٰ مسرح المنطقة يشكل خطراً كبيراً علىٰ إسرائيل، وإن أي معاهدة سلام مع أي نظام عربي ستكون مجازفة خطيرة؛ لأن أحداث إيران أثبتت أن جميع الأنظمة في ا لمنطقة في مهب رياح الاتجاهات الإسلامية المتصاعدة . . ».

وفي حديث لـ (حاييم هيرتزوج) سفير إسرائيل السابق لدىٰ الأمم المتحدة نشرته جريدة (الجروزلم بوست) اليهودية بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٩٧٨م، قال: «إننا نشهد اليوم ظاهرة غريبة ومثيرة للاهتمام، وتحمل في أثنائها الشر للمجتمع الغربي بأسره، وهذه الظاهرة هي عودة الحركات الإسلامية التي تعد نفسها عدوة طبيعية لكل ما هو غربي، والتي تعد التعصب ضد اليهود بشكل خاص فريضة مقدسة . . ».

وهكذا، تدور الماكينة الإعلامية العالمية، ذات الهيمنة اليهودية، بالتحريض على الإسلاميين ونشر الأخبار والتصريحات والبيانات المشوِّهة لصورتهم، ونشرها مسموعة ومقروءة ومشاهدة؛ لتسهيل مهمة محاربتهم وسحقهم أمام شعوبهم، وهذا دأبهم منذ القدم، مع أن هؤلاء الإسلاميين ليسوا جيشاً ولا دولة ولا قوة منظمة مدعومة من أحد، ولكنه العداء للإسلام، ولكل من يتكلم باسم الإسلام! . . وصدق الله القائل: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ** ﴾ [النساء: ٤٥، ٤٦].

ولابد هنا أن نسجل ملاحظة على جانب كبير من الأهمية وهي أن استغلال اليهود لدور الإعلام قد بلغ نهايته، إما من خلال الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها ويتملكون أكثرها، وإما من خلال الوسائل الإعلامية الأخرى التي يتغلغلون فيها ويؤثرون في توجيهها، ويسير اليهود في طريق استغلال هذه الوسائل مندفعين بأمرين: أحدهما التحريض؛ ومبعثه الرغبة في القضاء على عودة الروح إلى الجسد الإسلامي. وثانيهما الرعب؛ ومبعثه الخوف المتوارث في الوجدان اليهودي من تجربتهم الطويلة مع الإسلام خلال قرون خلت. ويتضح هذا جلياً فيما يبثون في وسائلهم.

ولعل من المناسب ـ هنا أيضاً ـ أن نذكر أن الكثير من الأسماء اللامعة والمشهورة في عالم الإعلام إنما هي يهودية لحما ودماً. وإذا كان الإعلام الأمريكي يكاد يسيطر على الإعلام الدولي؛ فإن اليهود يسيطرون على الإعلام الأمريكي، فبأي حال تجرى صناعة الرأي الأعمى العالمي؟!

إن وكالة (رويتر) للأنباء مثلا، أسسها يهودي اسمه (جوليوس بادل رويتر)

قبل أكثر من مائة عام. ووكالة (آسوشيتدبرس) تحولت إلى السيطرة الصهيونية بعد أن تحولت إلى شركة تعاونية عام ١٩٠٠م، وكذلك فإن مؤسس وكالة (اليونايتدبرس) يدعى (وليام راندولف هيرست) متزوج من يهودية وهو صهيوني الوجهة، وقد سانده اليهود عندما رشح نفسه حاكماً لنيويورك، ووكالة (هافاس) أسسها عدد من اليهود ويقومون على إدارتها.

بل الإذاعات ذات الصيت والشهرة التي تصنع الرأي العام العالمي.. قد تسلط اليهود عليها ووقفوا وراء ميكروفوناتها، فرئيس هيئة الإذاعة البريطانية سنة ١٩٨٣م هو (ستيوارت يانج) وهو يهودي تولى لمدة خمس سنوات رئاسة المجلس اليهودي المركزي للخدمات الاجتماعية.

وأما الصحف والمجلات التي تنشر المواد الإعلامية الصادرة عن هذه الوكالات والإذاعات؛ فإن هناك أكثر من ١٥٠٠ صحيفة يومية في الولايات المتحدة الأمريكية تطبع أكثر من ٥٥ مليون نسخة يومياً، ومن ضمن هذا العدد يستقل اليهود بملكية أو إدارة ١١٠٠ منها، أما المؤسسات الصحفية الكبرى ذات الصيغة العالمية؛ فإن الثلاثة الكبرى منها يملكها يهود، وهي: صحيفة (نيويورك تايمز) التي يتولى رئاستها (آرثر أوكس) اليهودي، ويشغل منصب المدير العام (ماكس فرانك) وهو يهودي، وصحيفة (الواشنطن بوست) وهي الجريدة السياسية الأولى في أمريكا، فتملك (كاترين مائير) اليهودية أكبر حصة فيها، وأما الصحيفة الثالثة وهي: (وول ستريت جورنال) وهي صحيفة المال والأعمال، فتملكها شركة (داوجونز) التي يرأسها (بيتركان) اليهودي. وكذلك فإن أوسع المجلات الأمريكية الكبرى انتشاراً وهي (تايم) و(نيوزويك) و(يو إس نيوز)؛ فإن لليهود صلة كبيرة بخيوط إدارتها وملكيتها، وإذا كان الإعلام

الإلكتروني قد زحزح الإعلام المقروء عن مكان الصدارة؛ فإن الاهتمام اليهودي قد توجه إلىٰ الشبكات التلفزيونية التي تقرن الصوت بالصورة، والحدث باللحظة، وتربط اللحظة بالرأي والتحليل، وتربط ذلك كله بالقناعات المملاة والآراء الموجهة.

إن هناك خمس شبكات تليفزيونية كبرىٰ في الولايات المتحدة، تبث ما نِسْبَته ٩٥٪ من مجموع الأخبار المحلية والدولية، وهذه الشكبات الخمسة مملوكة ليهود أو خاضعة لإداريين يهود، فشبكة (ABS) يملكها (مايكل إيزنار) وهو يهودي، وشبكة (NBC) يرأس قطاع الأخبار فيها (أندرولاك) وهو يهودي، وشبكة (CBS) يرأسها (إيروايرِ) وهو يهودي، وشبكة (فوكس) وهي أحدث الشبكات الكبرىٰ في أمريكا يملكها الإعلامي اليهودي الدولي (ميردوخ).

وغير خافٍ أن بضاعة السينما في هوليود من صناعة اليهود، وتُظهر بعض الإحصاءات أن نسبة الكتَّاب والمنتجين والمخرجين السينمائيين اليهود تعدت الخمسين بالمائة من مجموع العاملين في هذا المجال.

ولا يقصِّر اليهود ومَن وراءهم في توظيف كل هذه الإمكانات عند الحاجة من أجل تغيير الحقائق وتزييفها، ولبس الحق بالباطل كما هو ديدن اليهود، فهم يحاربوننا في كل مجال ومكان.. وينازلوننا في كل ميدان. وليست مواجهتهم لنا بصفتنا عرباً قوميين أو اشتراكيين أو رأسماليين؛ بل يحاربوننا بصفتنا مسلمين مؤمنين موحدين.. فهؤلاء فقط هم المستهدفون، أما العرب القوميون فهم أحبابهم، والعرب الاشتراكيون أولياؤهم، والرأسماليون أصدقاؤهم، والعلمانيون صنائعهم، والشيوعيون جنودهم... ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ**

بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فتلك الأحزاب والتوجهات والتصنيفات العربية غير الإسلامية.. كلها تيارات تسير في سيل جارف يصب في بحيرة تحيا بها اليهودية الصهيونية.

إن الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية أسسها يهود من فلسطين ومصر والعراق؛ ولهذا فإن ولاءهم لليهود كان لا يقف عند حد.. قالت صحيفة الحزب الشيوعي العراقي في عدد ٨٨ الصادر عام ١٩٥٣م: «إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يُحارب الشعب الإسرائيلي (الشقيق)، فلا مصلحة في الحرب ضد الكادحين العرب واليهود؛ بل ينبغي أن نخوض الحرب معاً ضد البرجوازية العربية العفنة..».

وكما خرجت الأحزاب الشيوعية من تحت القَلَنْسُوة(*) اليهودية؛ فكذلك صنع النصارىٰ علىٰ أعينهم الأحزاب العلمانية كلها في العالم العربي، والحساب لليهود في النهاية. فالحزب القومي السوري الاجتماعي أسسه (أنطون سعادة)، وحزب القوميين العرب أسسه (جورج حبش)، وحزب البعث العربي الاشتراكي أسسه (ميشيل عفلق)، وأبرز قادة الفكر العلماني في العالم العربي نصارىٰ منهم (كلوفيس مقصود)، و(قسطنطين زريق) و(أميل البستاني) و(سلامة موسىٰ)؛ بل الذين تسموا بأسماء المسلمين ونادوا في ديار المسلمين بالتغريب والعلمانية وأخذ حضارة الغرب بغثِّها وسمينها.. هم تلاميذ مخلصون لليهود غالبا.. وللنصارىٰ أحياناً.

ونحن نعجب حينما نعلم مثلاً أن المشرف علىٰ رسالة الدكتوراه لطه حسين

(*) القلنسوة: من ملابس الرؤوس (كالعمائم)، لسان العرب: مادة: قلس.

كان المستشرق اليهودي (إميل دوركايم)، وأن شاعر الحداثة (محمود درويش) عضو في حزب راكاح اليهودي.

وبالرغم من أن اليهود يحاربون فينا الدين والقرآن والسنة، فإن من تصدوا لحرب اليهود دعاية وادعاءاً قالوا إنهم لا يحاربون اليهود أصحاب الدين السماوي؛ بل يحاربون إسرائيل ذات التوجه السياسي الاستعماري الصهيوني. كما قال عبد الناصر من قبل.

وأعجب من هذا أن نجد ـ وللأسف الشديد ـ أن الذين تصدوا لحرب اليهود بصفتهم أصحاب القضية الأساسيين ممثلين في قادة منظمة التحرير الفلسطينية التي أصبحت فيما بعد (السلطة الفلسطينية) قد انتهجوا العلمانية سبيلاً في مسيرتهم (النضالية) ضد إسرائيل[1]، عازمين على تحويل الدولة الفلسطينية ـ إن أقاموها ـ على الأيديولوجية العلمانية، التي تتلخص في عبارة (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة).

مما يؤسف له أيضاً أن المنحى العلماني للمنظمة قد بدأ فرضه حتى قبل إقامة الدولة، فالسلطة الفلسطينية تتصرف مع قضية الأرض المقدسة بالخلفية نفسها التي تتعامل بها كافة الأنظمة العلمانية، من إصرار على نزع الصفة العقائدية

(١) نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في (١٤/ ١/ ١٩٨٩م) فقرات من تصريحات صدرت عن ياسر عرفات حين مقابلته مع (جيرالد كوفمان) الناطق الرسمي لحزب العمال البريطاني، أعرب عرفات فيها عن عواطفه الحارة تجاه اليهود، وقال: «إنهم أولاد عمِّنا.. ونعرفهم»، ثم تحدث عن الإسرائيليين قائلاً: «إنهم يسيئون إلى اليهودية، ولي حصة في هذا الدين... إنه جزء من تراثي»! وهذا التصريح، كان كشفاً مبكراً من عرفات لما ينوي فعله في السنوات التالية.

عنها، وحجب الروح الإيمانية عن البروز فيها، وتقييد الحركات الإسلامية عن التفاعل معها.

وقد أثبتت السلطة أنها ليست استثناءاً من الأنظمة الأخرىٰ التي اقترفت جريمة منع قيام جبهة إسلامية ضد اليهود من خارج فلسطين، مع فارق خطير وهو أنها ظلت تعمل بعناد علىٰ منع قيام هذه الجبهة داخل فلسطين، بعد أن لاحت البوادر بإمكانية قيامها بعد الانتفاضة الأولىٰ عام ١٩٨٧م التي أجهضها عرفات وأصدقاؤه في المنطقة مقابل (سلام الشجعان) في مدريد وأوسلو الأولىٰ وأخواتها.

ولهم في دعواهم العلمانية ثلاث حجج بواطل زاهقات:

أولاً: أنهم لا يريدون استخدام الدين وسيلة لتحقيق أهدافهم كما فعل اليهود، فقاسوا الإسلام علىٰ اليهودية، وساووا بين الحق البين والباطل الواضح.

ثانياً: أن استراتيجيتهم تتركز علىٰ إقامة دولة علمانية، يعيش فيها اليهود والنصارىٰ والمسلمون معاً؛ لكسب الرأي العام العالمي الذي أخزاهم في مواطن الخطر، وتخلَّىٰ عنهم وخذلهم في البر والبحر.

ثالثاً: وجود نسبة من النصارىٰ في فلسطين، علىٰ الرغم من ضآلة هذه النسبة، وما أسعد النصارىٰ في بقاع الأرض كلها بهذه الحجة!! فمن أجل أقلياتهم في كل حدب وصوب من بلاد المدر والوبر فلنسقِط الإسلام احتراماً لهم، ولنترك الشرع لإجلالهم، ولتتحول أكثرية المسلمين واقعاً إلىٰ أقلية افتراضاً من أجل سواد عيونهم.. ألاَ بئست من حجج ذليلة، وساءت من علل عليلة.

إنه لابد من فهم جديد لأبعاد قضية بيت المقدس ينبعث من جوانب العقيدة الإسلامية الصحيحة كما فهمها أتباع النبي محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان، ذلك الفهم الذي سار به أبو عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص ليجاهدوا الروم هناك ويُخلِّصوا بيت المقدس من أركاس الصليبيين الروم، الفهم الذي ذهب به عمر ليتسلم مفاتيح المدينة لتعود إلى التوحيد الخالص طاهرة ظاهرة، الفهم الذي حدا بصلاح الدين أن يجاهد الصليبيين الأوروبيين ليعيد بيت المقدس للإسلام مرة أخرى عزيزاً منيعاً، والفهم الذي تأبَّى به السلطان العثماني عبد الحميد عن بيع هذه البقعة ببنوك اليهود؛ مع علمه بأن هذه الخطوة فيها نهايته، بل الفهم الفطري الذي جعل أطفال الحجارة وشبابها أصحاب الانتفاضة الأولى والثانية يفهمون أبعاد القضية، ويدركون أسرار الشخصية اليهودية فيُذلونها ويُرغمون أنفها بما لم تستطعه الجيوش أو تقدر عليه العروش.

لابد لهذا الفهم الجديد أن يأخذ طريقه إلى عقول أجيالنا من الآن فصاعداً. وليُهل التراب إلى الأبد على كل تلك الفهوم البالية، والشعارات الخاوية العلمانية، سواء أكانت قومية أو وطنية أو بعثية تقدمية أو يسارية أو يمينية؛ لأنها ضرَّت وما نفعت، وانخذلت وما ارتفعت، وضاعت وضيعت..

ولابد للفهم الإسلامي هذا أن يأخذ مكانه.. أو بالأحرى أن يعود لمكانه ومكانته في عقل الأمة المسلمة بعد طول غياب.

وإذا كانت معركة الغد الفاصلة بين اليهود والإسلام هي معركة دينية في الصميم، وعقدية في الأساس، فينبغي لجنود هذه المعركة أن تفهم طلائعهم من اليوم الخَلْفيَّة الدينية لها، والطبيعة العقائدية فيها. وأَخصُّ بالذكر (جيل الصحوة)

الذي حَظِيتْ ـ وللأسف الشديد ـ قضية المسجد الأقصى وبيت المقدس بالنصيب الأوفى من إهماله وذهوله فيما مضى من عقود، على ما في هذا الجيل من خير كثير . . وعلى ما يُنتظر منه من إنجاز كبير .

والصفحات الآتية، تضع النقاط على كثير من الحروف في سطور القضية، وتعيد تركيب المعالم الصحيحة على الطريق القويم بعد أن غيرها اللئام فلبَّسوا على الناس المسلك والغاية .